

وفي محاولة لتكشف هذا الجانب في الحضارة الحديثة صرح ليوتار، أحد فلاسفة ما بعد الحداثة، بأن الجسد أصبح أصل الفلسفة وأصل كل النشاطات الأساسية، أما الإستيمولوجيا فقد أصبحت تشبه النشاط الجنسي. وتعميم ليوتار يصف شيئاً مهماً في الواقع المادي والفلسفي للإنسان الغربي. ولكنه رغم أنه وقع على حقيقة مهمة، فإنه، في تصورنا، يتخبط في طريقة إفصاحه. ونحن نذهب إلى أن الحضارة الحديثة تدور حول الإنسان الطبيعي الذي يدور حول جسده في إطار المنفعة واللذة. وفي مرحلة التقشف والثنائية الصلبة والتراكم الرأسمالي والإمبريالي، ظهر الإنسان الاقتصادي الباحث عن المنفعة المادية والذي سيحقق سعادته من خلال التراكم، والذي يُرشد حياته في الإطار المادي، ثم يبطش بالآخرين من خلال منظومته الإمبريالية. ولذا، فهو إنسان يستخدم حواسه الخمس، جسده هو أساس رؤيته للكون، وإن كانت هناك أولوية لشيء في جهازه الهضمي، وربما لعضلاته.

ولكن في مرحلة السيولة الشاملة والاستهلاك، لم تُعد المنفعة هي المعيار الأساسي، وإنما اللذة. وظهر الإنسان الجسماني والجسدي والجنسي الذي يعيش في جسده، وهو مجموعة من الأعضاء والأعصاب والانفعالات القوية المباشرة، ولكنها جميعاً موجهة نحو تحقيق اللذة. ولذا، فبدلاً من الجسد، أصبح الجنس هو أساس رؤية الإنسان للكون. وإذا كانت هناك أولوية لأحد أعضائه التشريحية فإنها تكون لجهازه التناسلي. وبذا، نكون قد عدنا إلى عبادة أعضاء التناسل الوثنية الموغلة في البدائية، والتي أشار إليها شوبنهاور وصنّف العبادات اليونانية واليهودية ضمنها. والجنس مثل الجسد، هو محاولة لمحو الأصول الربانية للإنسان عن طريق إلغاء ثنائية الذات والموضوع، ولكن عملية الإلغاء أكثر جذرية في حالة الجنس.

ويمكننا القول إن الجسد هو الصورة المجازية الأساسية في عصر التحديث (والمادية البطولية والحداثة)، أما الجنس فهو الصورة المجازية لعصر ما بعد الحداثة. ومشكلة الكثير من المفكرين في العالم الثالث المدافعين عن الاستنارة أنهم يظنون أننا